

2006

## الضحك والنساء

أحمد الشايب

chaibahma@yahoo.com, كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، جامعة ابن زهر، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>

 Part of the [Arabic Language and Literature Commons](#)

---

### Recommended Citation

"الضحك والنساء", الشايب, أحمد (2006) "الضحك والنساء", *Dirassat*. Vol. 12 : No. 12 , Article 5.  
Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol12/iss12/5>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).

## الضحك والنساء

أحمد الشايب

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكادير

بدأ الاهتمام بضحك النساء وهزلهن منذ الستينيات من هذا القرن، وبلغ أوجه في سنوات السبعين، وواكب البحوث العلمية حول الثقافة النسوية والتيارات الإيدولوجية الداعية إلى دعم تحرر المرأة التي شكلت الخلفية النظرية لتلك البحوث.

وقد لفت هذا البحث نظر الأنثروبولوجيين والإثنوغرافيين أولاً، وتلقفه فيما بعد علماء النفس والباحثون في علم اللغة الاجتماعي، وعلماء الاجتماع، وخصَّوه بمقالات وأبحاث علمية كثيرة، اعتمدت في عمومها على البحث التجريبي المخبري، والملاحظة الميدانية، وقد أنجزت معظم هذه البحوث حول عينات من النساء تنتمي إلى المجتمعات البدائية أو ما قبل الصناعية، وبعضها الآخر اهتم بعينات أخذت من المجتمعات الصناعية الحديثة، فدُرس ضحك النساء في حرم الجامعات، وبين العمال في المصانع والمعامل والمتاجر الكبيرة، والمطابع، وفي أجنحة المستشفيات بين المرضى.

وكانت الغاية التي حركت هذه البحوث، في مجملها، غاية براغماتية - فمعظمها أنجز من قبل باحثين أمريكيين - تسعى إلى الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين الجنسين في الضحك، ومدى مساهمة الهزل في تطوير وسائل الإنتاج وأدوات الاتصال الجماهيري، ودوره في عملية التفاعل الاجتماعي بين الأفراد.

وانطلاقاً من هذه البحوث ومن نصوص تراثية عربية قديمة، ومن الفولكلور الشعبي الحديث، يسعى هذا البحث إلى إلقاء بعض الضوء على هذه الظاهرة، وطرح تساؤلات حولها، وإثارة انتباه الباحثين والمختصين إلى أهميتها.

ونحب أن ننطلق بداية من جملة تساؤلات جوهرية يحاول البحث الإجابة عنها قدر الإمكان، وهي:

- هل تختلف المرأة عن الرجل من حيث الحس الفكاهي؟ لماذا هذا الاختلاف إذا حصل وما هي مظاهره؟

- ما مدى مساهمة المرأة في إنتاج الضحك واستهلاكه؟
  - كيف تظهر المرأة باعتبارها تيمة ومكونا سرديا داخل المضحك؟
- وللإحاطة بهذه الأسئلة ارتأينا أن نقسم هذا البحث إلى محاور ثلاثة :

(1) الضحك مع النساء .

(2) ضحك النساء .

(3) النساء موضوعا للضحك .

### 1 الضحك مع النساء :

عادة ما تشير تعريفات الهزل والفكاهة والمزاح إلى الضحك مع الآخر بهدف تحقيق الألفة وربط آواصر التقارب، وتوثيق عرى المودة. و«الضحك مع» يقابله «الضحك من»، ويفيد السخرية والاستهزاء والازدراء، فإذا كانت غاية الأول تحقيق التواصل، ومد الجسور بين طرفين، فإن هدف الثاني قطع حبال التواصل، وإقصاء الطرف الآخر.

وقد اقترح DUPREEL<sup>(1)</sup> مصطلحي ضحك الاستقبال "Rire d'accueil" للأول، وضحك الإبعاد "Rire d'exclusion" للثاني. ففي ضحك الإستقبال تسود البهجة والفرحة، وفي ضحك الإبعاد يهيمن المكر والعدوانية. وأصناف المضحك وأشكاله لا تخرج عن نطاق هذين الضريين.

يقول المارودي في الفصل الذي خصصه من كتابه «أدب الدنيا والدين» للمزاح والضحك، مشيراً إلى سمات المزاح المحمود وغاياته : «العاقل يتوخى بمزاحه إحدى حالتين لا ثالث لهما، إحداهما : إيناس المصاحبين، والتودد إلى المخالطين، وهذا يكون بما أنس من جميل القول، وبسُط من مستحسن الفعل... والحالة الثانية أن ينفي بالمزاح ما طراً عليه من سأم، وأحدث به من هم...»<sup>(2)</sup>.

وعلى هذا الوجه كان يمزح النبي ﷺ، والطريف أن أغلب مزاحه كان مع النساء والأطفال، فمعظم الطُرف والمُح التي تداولتها الكتب والمصنفات التي عرضت لضحكه ﷺ كانت النساء أبطالها، من ذلك : أن عجوزاً أتته ﷺ فقالت لها : لا يدخل الجنة عجوز، فبكت فقال : إنكِ لست بعجوز يوماً، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾<sup>(3)</sup>.

- وأتته أخرى في حاجة لزوجها فقالت لها : ومن زوجك فقالت : فلان. فقال لها : الذي في عينيه بياض؟ فقالت : لا. فقال : بلى. فانصرفت عَجَلَى إلى زوجها وجعلت تتأمل عينيه

فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: أخبرني رسول ﷺ أن في عينيك بياضاً، فقال: أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها؟(4).

- وجاءت امرأة أخرى فقالت: يا رسول الله، احملني على بعير. فقال: بل نحمك على ابن البعير.. فقالت: ما أصنع به، إنه لا يحملني. فقال ﷺ: ما من بعير إلا وهو ابن بعير(5).

- ويحكى أن سويداء لبعض الأنصار تختلف إلى عائشة رضي الله عنهما، تلعب بين يديها وتضحكها، وربما كان النبي ﷺ يدخل على عائشة فيجدها عندها، فيضحكان جميعاً، ثم إن النبي ﷺ فقدها فقال: يا عائشة، ما فعلت سويداء؟ قالت: إنها مريضة. فجاء النبي ﷺ يعودها، فوجدها في الموت، فقال لأهلها: إذا توفيت فأذنوني. فلما توفيت أعلموه، فشاهدها، وصلى عليها، وقال: اللهم إنها كانت حريصة على أن تضحكني، فأضحكها فرحاً(6).

- وقال أنس: إن النبي ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه(7).

نخلص مما سلف إلى أن ضحكه ﷺ مع النساء غاية التودد، وإدخال البهجة إلى قلوبهن، فضحكه معهن يفصح عن تواضعه وتودده إليهن، وتواصله معهن بمختلف طبقاتهن وأعمارهن، ففي هذه الطرف نجد العجوز والزوجة والأمة. وقد انتبه الغزالي إلى حقيقة أن ضحكه ﷺ كان في أغلبه مع النساء حين قال: «فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان، وكان ذلك منه ﷺ معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل(8). غير أنه لم يوضح مراده من قوله: «ضَعَفَ قُلُوبَهُمْ».

ومن الوظائف الاجتماعية التي يقوم بها الضحك مع النساء أحياناً، إضافة إلى التودد والمؤانسة، سبر رأي الآخر، ومحاولة الكشف عن نواياه. فالإنسان يحاول باستمرار ودون كلل استكشاف محيطه الاجتماعي، لغاية جلب منفعة أو درء مضرة، غير أن الأعراف والمواضعات قد تمنعه أحياناً من بلوغ مناه، والتعبير عن مراده بطرق صريحة ومباشرة، وهذا ما يدفعه إلى أن يسلك في سبيل تحقيق ذلك طرقاً ملتوية ومراوغة، ومن أنجح هذه الطرق توسله بالفكاهة والهزل بهدف استطلاع رأي الآخر، وسبر أغواره، إذ عندما يضحك هذا الآخر أو يبتسم على أقل تقدير، أو يردُّ بشكل من أشكال الرضى، فمعنى ذلك أن الرسالة بلغت غايتها، وأن التواصل قد تم، والعلاقة الاجتماعية انقلبت إلى مزيد من الحميمية، وهذا ما نلاحظه في النكت الجنسية أو الوسخة كما تصفها بعض الأبحاث، وهي من اختصاص الرجال، وهي تُستعمل لإذابة الجليد، ورفع الكلفة والتحفظ بين

الجنسين، إن الهزل في هذا السياق هو كشف عن الذات Self-disclosure. وسبر اجتماعي للآخر Social probing. وهو في موضع الهوى والعلاقة بين الجنسين يقصد به الجد، وهذا هو المراد في القول المشهور: هزل الهوى جد.

وباستعمال الهزل في هذا المقام يتجنب المتكلم الهازل توريط نفسه في التعهد، بما قاله، ويسهل عليه التملص والتبرؤ من فحوى كلامه - إذا ما كان هناك صد أو رد فعل - بقوله: إنني أمزح فقط. لهذا فالإرسالية الهزلية قابلة للسحب، إذ الهازل يمكنه أن يسحب كلامه ويتراجع عنه، دون أن يفقد ماء الوجه، أو يقع في الحرج، فالهزل في النكت والنوادر الجنسية تكتيك ومناورة جادة.

## (2) ضحك النساء :

انتهت أبحاث متعددة إلى ملاحظة تتمثل في النقص النسبي في الحس الهزلي "Sense of humor" لدى النساء، وهذا النقص مرده كما سنرى لاحقاً إلى وضعية المرأة داخل المجتمع، والدور الذي تلعبه مقارنة مع وضع الرجل ودوره. ومن الذين أشاروا إلى هذه الحقيقة "Lakoff" (1975)<sup>(9)</sup>، وهذه الخصيصة في الحس الهزلي عند المرأة انتهت إليها "Lakoff" في دراستها عن الفرق بين خطاب المرأة وخطاب الرجل، فلغة النساء حسب «لايكوف» تتميز بمعجم خاص في بعض الميادين كما هو الحال في الألوان، وفي استعمال بعض الصفات والنوع، وطريقة الاستفهام، والتساؤل والغو والكلام المطاط، والنطق الصحيح، واحترام معايير النحو، واستعمال الصيغ اللائقة والدالة على الأدب والتلطف، والافتقار أو النقص في الحس الهزلي. فالنساء حاكيات ضعيفات للنكت حسب رأي الباحثة.

وإذا كان البحث في الفرق بين خطاب الرجل وخطاب المرأة هو الذي انتهى به «لايكوف» إلى الحقيقة السابقة، فإن بحوثاً أخرى كان منطلقها واقع الحال ومدى مساهمة المرأة في إنتاج الهزل واستهلاكه، وطبيعة الهزل الذي تنتجه، وذلك الذي تتلقاه وتستهلكه.

فمن حيث المساهمة في إنتاج الضحك والمشاركة فيه، انتهت بعض البحوث الأنثروبولوجية إلى هزلة مشاركة المرأة في طقوس الضحك، بل وغيابها عن بعض هذه الطقوس.

فقد لاحظ (1985) "Mahadeve Apte" أن الضغوط الثقافية والسلوكية والاجتماعية التي مورست على المرأة على امتداد الزمن جعلت بعض أنواع الهزل وأشكاله تغيب عن ضحكها

أو تكاد، وتصبح من اختصاص الرجال. «فالمراة في الحياة العامة لا تتخرط عادة في المبارزات الكلامية والشتم الطقوسي والمزاح الخشن "Horseplay" المعتمد على المقابل، والمزاح المعتمد على الصفع والقرع "Slapstick"»<sup>(10)</sup>.

وفي الفلكلور والحكاية الشعبية قلما نجد نساءً محتالات "Tricksters"، أو مهرجات "Clowns" في مقابل هيمنة الرجال على هذه الأدوار، وحتى عندما يكون المحتال حيوانا فإنه يكون في الغالب ذكرا.

وعموما فالنساء لا ينخرطن في التهريج من أجل الإضحاك، فقلما نجد مضحكات للبلاط أو مهرجات محترفات في ثقافات العصور الوسطى. في مقابل ذلك تحفل القصور والبلاطات بالمغنيات والقيان والجواري باعتبارهن آلة للتسلية، وأداة للترويح عن أولي الأمر. ويلاحظ "Apte" كذلك ضعف مشاركة المرأة في العصور الحديثة في التهريج على المسرح، أو السيرك، ويعطي تفسيراً محتملاً لهذا الغياب النسبي للمرأة المهرجة يتمثل في معايير وقيم اللياقة والاحتشام السائدة في مجتمعات كثيرة، إذ لا يسمح للمرأة بأن تكون متحررة تمام التحرر من الممنوعات والكوابح بالمرّة، وهذه قيم يخرقها المهرج، ويعبث بها ويسخر منها.

وكما أفصيت المرأة عن إنتاج الهزل الرسمي المُمأسس والمرتبط بالطقوس الدينية البدائية، أو المتعلق بأشكال الفرجة والتسلية في العصر الوسيط، تُقضى للأسباب السوسيوثقافية نفسها من المساهمة الفعالة في إنتاج الضحك في العصر الحديث، فالفنانات الكوميديات يشكلن قلة قياساً إلى الرجال الذين يشتغلون في هذا الميدان، بل إن بعض النساء اللواتي اتخذن قرار أن يصبحن فنانات كوميديات محترفات، يشرن باستمرار أن جنسهن يعتبر عائقاً يُصعبُ عليهن هذه المهمة (Levine 1976)<sup>(11)</sup>،

إذا لماذا هذه المساهمة المتواضعة للمرأة في إنتاج الضحك؟ ولماذا هذا اللاتكافؤ بينها وبين الرجل في هذا الميدان؟

هناك صلة بين غياب المرأة وعدم مشاركتها في أشكال مختلفة من الهزل، وبين أشكال التحكم الاجتماعي الذي تخضع له، وهذا حسب الباحثين الأنثروبولوجيين له علاقة بوضعية المرأة الاجتماعية لا بأنوثتها. فحسب «بالمر» "J. Palmer" «النساء لا يشعرن بأن لهن نفس الحرية في الحديث كما يفعل الرجل، ومن ثم فإنهن لا يطورن المهارات البلاغية والأسلوبية الخاصة بالهزل، وبحكاية النكت. هذا إضافة إلى أن الأعراف الخاصة بالخشمة والأدب تمنعهن من حكاية نكت في جماعة مختلطة»<sup>(12)</sup>.

وقد تجسد هذا التحكم الاجتماعي في قيود صارمة على تربية المرأة، وعلى تنشئتها الاجتماعية، «إذ تفرض القيود على البنات قبل الأبناء، كما أن نشاطاتهن اللعبية تقيد بشكل مبكر مقارنة مع إخوانهن»<sup>(13)</sup>.

وتأخذ هذه القيود على سلوك المرأة صيغا أخرى، ففي ثقافات كثيرة يُتوقع من المرأة الاحتشام والحياء، والمرأة التي تضحك كثيراً، وبحرية أمام العموم تكون عرضة لبعض الأحكام كالخفة والطيش.

وقد قللت هذه القيود المباشرة وغير المباشرة من فرص إنجاز الضحك لدى النساء، «فالأبناء تتاح لهم فرصة تطوير المهارات اللسانية والخطابية منذ زمن مبكر، ليصبحوا حاكواتيين، ولينخرطوا في إنتاج المتعة والتسلية، بينما لا تشجع البنات على هذه الأنشطة، فكأن الخطابية والحكي مهارة ذكورية»<sup>(14)</sup>. والمنتظر من النساء الإنصات فحسب.

ومن مظاهر تقييد حرية النساء وحبس أنفاسهن حسب (1975) "Farrer" «أن الواقع السوسيو ثقافي في مجتمعات كثيرة يفيد أن أنشطة الرجال عادة ما تعرض في ميادين عامة، على حين أن أنشطة النساء تعرض في أماكن خاصة»<sup>(15)</sup>.

ومن سخرية الأقدار، أو بالأحرى من سخرية الرجال أن هذه القيود المفروضة على ضحك النساء تخف مع تقدم المرأة في السن، وترتفع مع زحف الشيخوخة، والتغيرات البيولوجية التي تستتبعها، فيسمح للمرأة أخيراً أن تهزل، ويسمح لها بأن تخوض في الطابوهات والمحرمات التي منعت من الخوض فيها من قبل، يقول "Apte" في هذا السياق: «التحرر من القيود السوسيوثقافية، والمشاركة في الهزل بشكل واضح وفي الحياة العامة، لا يميز سلوك العجائز في المجتمعات ما قبل الصناعية فحسب، بل نجده لدى الشيوخ والعجائز في المجتمعات ما قبل الصناعية الحديثة، وهذا ما تشير إليه دراسة Sykes لعلاقة التفكه Joking Relationship في معمل بكلاسكو»<sup>(16)</sup>.

هكذا فالحرية بالنسبة للمرأة في الانخراط في الضحك والهزل لها علاقة بدورة الحياة، ذلك أنه بقدر ما تتقدم المرأة في السن تخفف القيود على الضحك، ويمكنها أن تشارك جهاراً وعلانية في أنواع محظورة عليها من قبل، وتتنافس الرجل في هذا المضمار. إن هذا الواقع السوسيو ثقافي للمرأة، والمتشائم إلى حد ما، لا يجب أن يحول بيننا وبين البحث في خصوصية ضحك المرأة وهزلها، فعلى الرغم من تلك القيود، وبالرغم من هيمنة الرجل على وسائل الإنتاج بما فيها وسائل إنتاج الضحك، فقد ضحكت المرأة وظلت

تضحك، وستبقى تضحك كسائر خلق الله .

ومن خصوصيات ضحكها وهزلها :

1 - ينزع هزل النساء نحو التحفظ، كما أن معجم نُكْتِهِنَّ يرتبط بتشتتهن الاجتماعية التي ترتبط في الغالب بداخل البيت لا بخارجه، إذ يقل في هذا المعجم الحديث عن الطابوهات والمحرمات، على عكس الرجال الذين تعتبر النكت الوسخة الجنسية والعدوانية من اختصاصهم، كما أن معجم نكتهم يرتبط بالخارج أو بالشارع أكثر مما يرتبط بداخل البيت.

2 - أثبتت بعض الدراسات (17) (1976) "Chapman & Gadfield" أن النساء يفضلن الهزل المعتمد على اللامعقول "Absurd".

3 - يقترب هزل النساء من اللعب والدعابة، ويوظف لتوثيق عرى الصداقة، والتعبير عن البهجة، وتشجيع الاندماج، وهذا عكس الاستعمال العدائي للهزل عند الرجال.

4 - انتهت بعض الأبحاث (18) (1977) Castell & Goldstein إلى أن النساء على الأرجح ينكتن عادة في المجالس الخاصة بهن، بينما الرجال يهزلون في المجلسين معاً، أي المختلط والخاص بالرجال.

5 - عندما يكون الجمهور من النساء فقط، يتفكه النساء بكل حرية، حيث تزول الإكراهات العرفية والاجتماعية، ويدور الضحك حول السخرية من مظاهر الرجال الخارجية وسلوكاتهم الاجتماعية، وخصوصياتهم الجسمانية والمزاجية، وحياتهم الجنسية. وتتم محاكاتهم محاكاة ساخرة Parody.

### (3) النساء موضوعاً للضحك :

عدنا في استكشاف مادة هذا القسم من البحث إلى متون مشهورة بال نوادر والنكت، ككتب البخلاء والرسائل والحيوان للجاحظ، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيد، والمستطرف في كل فن مستظرف للإبشيهي، وأخبار الحمقى والمغفلين، وأخبار الظرفاء والمتماجنين لابن الجوزي. كما عدنا من جهة ثانية إلى متون غربية على سبيل المقارنة، على رأسها كتاب التحليل النفسي للنكت الجنسية لـ"Legman" في محاولة منا لبناء تصور سريع وتقريبي للمرأة داخل هذه المتون، وقد استرعت انتباهنا الملاحظات الآتية :



1 - أفلتت المرأة بجلدها من هزل الطباع "COMIQUE DU CARACTERE" أو الضحك الذي يسخر من الأخلاق الرذلة، كالبخل والتفيل والغفلة والجهل. فأبطال هذه الآفات الخلقية هم رجال على العموم. ففي كتاب البخلاء للجاحظ نادرا ما نعثر على بخيلات، وكذلك في أخبار التفيل والطفيليين. وقد اجتهد أشعب في البحث عن امرأة تقاسمه البخل والطمع فلم يفلح في ذلك ووكل أمره للناس بقوله: اطلبوا لي امرأة أتجشأ في وجهها فتشبع وتأكل فخذ جرادة فتتخم(19).

بل إن المرأة تقع أحيانا ضحية بخل زوجها في حياتها وبعد مماتها، فمما ورد في أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي(20) : ماتت امرأة، فاشتري لها زوجها كفنًا قصيرا، فقالت له الغاسلة: الكفن قصير، فقال: ألبسها خُفًّا.

كما أنها لا تتعم بالحرية إلا عندما تدركها المنية، ويجيء أجلها، يقول ابن الجوزي : ماتت جارية لرجل، فلما دفنها قال : لقد كنت تقومين بحقوقى، فلاكافئتك. اشهدوا على أنها حرة!.

2 - استعملت المرأة في بعض النوادر دهاءها ومكرها وكيدها سلاحاً للإيقاع ببعض المتحرشين بها، للسخرية منهم، والضحك عليهم، خصوصا بعض من يُظهرون التدين والنسك. وهذا ما تحكيه نادرة أوردها النويري(21) عن رجل يُظهر النسك، تحرش بجارية، فأغرته بنفسها بالاتفاق مع مولاها، فطحننت به قمحاً طول ليلة، قبل أن يفلت بجلده في الصباح. ونادرة ثانية(22) في السياق نفسه أوردها صاحب حدائق الأزهار حول مؤذن تحرش بزوجة، فشكته لزوجها الحجام، فتامرا عليه، وانتهت النادرة بخلع أسنان المؤذن عن آخرها.

3 - الملاحظة البارزة في هذه المتون المضحكة هي أن أغلب النوادر والنكت التي ذكرت فيها المرأة ظهرت فيها باعتبارها جارية أو قينة، وقليلة هي النوادر حول الزوجات والحرائر، بمعنى أن اللهو والقصف والمجون والضحك كانت تشارك فيه هذه الفئة من النساء دون غيرها، وقد لاحظ «فون كرونباوم» الملاحظة نفسها في إسلام العصر الوسيط حين قال : «الرجال المثقفون وأهل الفكر يقتسمون اللهو والتسلية والفوائد الفكرية مع فئة من النساء تختلف كليا عن الفئة التي التي يقتسمون معها الحياة العائلية»(23).

وهذه الفئة بالطبع هي الجواري والقيان المغنيات والراقصات، فقد شكلت هذه الفئة من النساء مركز الحياة العاطفية للخلفاء والأمراء وعلية القوم. بل إن الشعر الذي قيل في الجواري والقيان يفوق بكثير ما قيل في الحرائر، كما أن المرأة المحبوبة والمعشوقة كانت

في الغالب الأعم جارية كما هو الحال في قصص وحكايات طوق الحمامة لابن حزم.

4 - طغى الجنس بشكل لافت للنظر على هذه النوادر، وهيمنت تيمة الجنس على باقي التيمات، وهذا ما نجده في رسالة الجاحظ في مفاخرة الجواري والغلمان، وفي متون أخرى. وسيادة الجنس في هذه النكت وتسلط الرجل وتصوير المرأة كآلة للإنتاج وكأداة لتلبية رغبات الرجل نجدها في المتون الغريبة الحديثة أيضا، فقد أشار "Legman" إلى هذه الحقيقة بقوله: «هناك حقيقة واضحة بشكل صادم في أي مجموعة حديثة للفولكلور الجنسي، سواء تعلق الأمر بالنكت أم بالنوادر أم بالقصائد الفكاهية الخماسية الأبيات "Limerick"، هذه الحقيقة تتمثل في أن هذه المواد خلقت من قبل الرجال، ولا مجالَ فيها للمرأة باستثناء كونها ضحكة "butt". كما أن هذه المواد الكثيرة ليست ضد المرأة بشكل فاضح في المحتوى والنزعة فحسب، بل إن المواقف والصور المقدمة في هذه المواد تفتقر إلى تقديم المرأة في موقف البطولة والزعامة، حيث يتاح لها كامرأة الاعتداد بنفسها والافتخار بمنجزاتها» (24).

5 - ويخلص «ليكمان» في بحثه القيم عن هذا النوع من النكت إلى نتائج أو مبادئ يمكن تعميمها على متون غير غربية هي:

- أ - أولوية المواقعة في هذه النكت.
- ب - النساء في هذه النكت متاحات ومهيآت ورهن إشارة الرجال.
- ج - النساء أدوات يتمتع الرجل بها، ويعبث بها كيف شاء.
- د - مبدأ خضوع خطاب المرأة، فليست أجسام النساء وخدماتهن هي التي تقع رهن إشارة الرجل فحسب، بل أيضا كلامهن ولغتهن، كما أن الإحالة على النساء في هذه النكت تتم بمصطلحات تشي بتفوق الرجل وازدراؤه، فعالم الهزل هو عالم يسود فيه صوت الرجال، ويُغطى ويُطمس فيه صوت النساء.

6 - نُحِبُّ في الأخير أن نتقف قليلا عند بعض النوادر من الشرق والغرب، لها علاقة بالقضايا الكبرى المرتبطة بتحرر المرأة وتحكم الرجل.

- أدخلت جاريتان على المنصور، فأعجبته، فقالت التي دخلت أولا: يا أمير المؤمنين، إن الله فضلني على هذه بقوله: «والسابقون الأولون». وقالت الأخرى: لا، بل الله فضلني عليها بقوله: «وللآخرة خير لك من الأولى» (28).

- وعرض على المنصور جاريتان بكر وثيب، فمال إلى البكر، فقالت الثيب : ما بيننا إلا يوم واحد، فقالت البكر : «وان يوماً عند ريك كألف سنة مما تعدون»(26).
- قيل لامرأة ظريفة : أبكر أنت؟ قالت : أعود بالله من الكساد(27).
- وقال المتوكل لجارية استعرضها : أنت بكر أم إيش؟ قالت : أنا إيش يا أمير المؤمنين(28).
- واختصم رجلان في جارية مملوكة، فوضعها على يد مؤذن ليلة، فلما أصبح قال المؤذن : ذهبت الأمانة من الناس، قيل له : كيف ذلك؟ قال : أودعوا هذه الجارية عندي على أنها بكر، وقد اختبرتها البارحة فوجدتها ثيباً(29).
- غاب رجل عن امرأته فبلغها أنه اشترى جارية، فاشتريت غلامين، فبلغه ذلك، فجاء مبادراً وقال لها : ما هذا؟ فقالت : أما علمت أن الرّحى إلى بغلين أحوج من البغل إلى رحيين(30).

هذه النوادر غنية عن أي تعليق فهي تصور موقف الرجل العربي، وتصور المرأة لبعض القضايا الذي ترمز إلى تحرر المرأة كالعذرية والتعدد.

وننتقل إلى الغرب لنرى وجهة نظر مخالفة في طرح هذه القضايا. تشير الباحثة "Alleen Pace Nilsen" في مقال لها بعنوان «العذرة استعارة نَحْيًا بها»(31). إلى أن النكت حول العذرية تُظهر كيف يستعمل المجتمع الهزل لإخفاء الجد، فمعظم هذه النكت غير بريئة، فهي تخفي موقف الرجل أو المرأة من هذا الأمر. وتشير إلى طرائف ونكت من هذا القبيل تروج في حرم جامعات أمريكية كثيرة بشكل لافت للنظر منها :

- في جامعة فرجينيا يوجد تماثلان في ساحة معشوشبة، أحدهما لطوماس جفرسون وهو واقف، والثاني لجورج واشنطن وهو جالس، ويحكى أنه عندما تمر عذراء بجانبهما، فإنهما يتبادلان الوضعية : الجالس يقف الواقف يجلس.
- وفي جامعة جنوب «ايوا» يُخبر الزوار عادة بأن البرج المنتصب في الحرم الجامعي تسقط منه آجرٌ "Brick" في كل مرة تتخرج فيها عذراء من هذه الجامعة.

لماذا تزدهر هذه النكت في أوساط معروفة بالتفكير العقلاني؟ تجيب الباحثة «أن هذه الأوساط - أي حرم الجامعات - هي المكان الذي تملك فيه النساء السلطة لأخذ قرار الإبقاء أو عدم الإبقاء على العذرية، وأن هذه النكت والنوادر وضعت من قبل الرجال لإقناع النساء - بلطف - بالنظر إلى العذرية باعتبارها شيئاً غير مرغوب فيه»(32).

## هوامش

- (1) DUPREEL (E) : SOCIOLOGIE GENERALE, PARIS, P.U.F., 1948, P. 62-65.
- (2) الماوردي، (أبو الحسن علي البصري)، أدب الدنيا والدين، تحقيق : د. محمد صباح، منشورات دار مكتبة الحياة، 1986، ص : 310 - 311.
- (3) - الغزالي، (أبو حامد محمد)، إحياء علوم الدين : 162/3 .
- (4) - الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص : 311.
- (5) - الغزالي، إحياء العلوم : 162/3
- (6) - حدائق الأزهار، ابن عاصم الغرناطي، تحقيق : عبد اللطيف عبد الحليم، ص : 141، المكتبة العصرية، بيروت، 1992 .
- (7) - الغزالي، إحياء العلوم، ص : 161 .
- (8) - المصدر نفسه، ص : 163 .
- (9) - LAKOFF, R. (1975) : LANGUAGE AND WOMAN'S PLACE, NEW HARPER & ROW.
- (10) - MAHADEVE APTE : HUMOR AND LAUGHTER : AN ANTHROPOLOGICAL APPROACH, CORNELL UNIVERSITY, PRESS, 1985, P. 70-71.
- (11) - LEVINE, J. (1976) : THE FEMININE ROUTINE, JOURNAL OF COMMUNICATION : 26 : (173-175).
- (12) - TAKING HUMOUR SERIOUSLY, JERRY PALMER, ROUTLEDGE, 1994, P. 77
- (13) - MAHADEVE APTE, HUMOR AND LAUGHTER, P. 74.
- (14) المرجع نفسه، ص : 75
- (15) - FARRER, C.R. (1975) : INTRODUCTION IN WOMEN AND FOLKLORE, JOURNAL OF AMERICAN FOLKLORE, 88 (347).
- (16) - MAHADEVE APTE, HUMOR AND LAUGHTER, P. 80.
- (17) - CHAPMAN, A.J. AND GADFIELD, N.J. (1976) : IS SEXUAL HUMOR SEXIST?; JOURNAL OF COMMUNICATION, 26, (141 - 153).
- (18) - CASTELL, P.J. AND GOLSTEIN, J.H. (1977), "SOCIAL OCCASION FOR JOKING", IN : IT IS A FUNNY THING HUMOUR.
- (19) الوافي بالوفيات : 22/1
- (20) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص : 168، ص : 168، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الرابعة، 1980 .
- (21) نهاية الأرب في فنون الأدب، التويري (شهاب الدين أحمد) : 6/4
- (22) حدائق الأزهار، ابن عاصم الغرناطي، ص 151 .
- (23) - GUSTAVE VON GRUNEBAUM (1966), MEDIEVAL ISLAM : A STUDY IN ORIENTAL ORIENTATION, 2<sup>e</sup> ED. CHICAGO - LONDRES, P. 175.
- (24) - RATIONALE OF THE DIRTY JOKE, AN ANALYSIS OF SEXUAL HUMOR, G. LEGMAN (1968), CASTLE BOOKS, P. 117.
- (25) نهاية الأرب، التويري : 42/4 .
- (26) المصدر نفسه، ص : 18
- (27) المصدر نفسه، والصفحة نفسها .
- (28) المصدر نفسه، والصفحة نفسها .
- (29) المصدر نفسه : 21/4
- (30) المصدر نفسه، والصفحة نفسها .
- (31) VIRGINITY : A METAPHOR WE LIVE BY, ALLEN PACE NILSEN, IN : HUMOR. INTERNATIONAL JOURNAL OF HUMOR RESEARCH. 3-1 (1990).
- (32) المرجع السابق، ص : 5

## لائحة المصادر والمراجع

### أ - المصادر والمراجع العربية :

- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي)، أخبار الحمقى والمغفلين، دار الآفاق الجديد، بيروت، ط. 3، 1979.
- ابن عاصم الغرناطي، حداثق الأزهار، تحقيق : عبد اللطيف عبد الحلیم، المكتبة العصرية، بيروت، 1992.
- الغزالي (أبو حامد محمد)، إحياء علوم الدين، مؤسسة الحلبي للنشر، 1967.
- المارودي (أبو الحسن علي البصري)، أدب الدنيا والدين، تحقيق : د. محمد صباح، منشورات دار مكتبة الحياة، 1986.
- النويري (شهاب الدين أحمد)، نهاية الأدب في فنون الآداب، دار الكتب المصرية، 1935.

### ب - المراجع الأجنبية :

- ALLEN PACE NILSEN : VIRGINITY : A METAPHOR WE LIVE BY, IN : HUMOR, INTERNATIONAL JOURNAL OF HUMOR RESEARCH, (1990).
- APTE, MAHADEV, HUMOR AND LAUGHTER, AN ANTHROPOLOGICAL APPROACH, 1985, CORNELL UNIVERSITY PRESS.
- CASTELL, P.J. GOLDSTEIN, J. H. (1977) : "SOCIAL OCCASIONS FOR JOKING", IN : IT IS A FUNNY THING HUMOUR
- CHAPMAN ANTONY AND HUGH C. FOOT, IT'S A FUNNY THING HUMOR, OXFORD : PERGAMON, 1977.
- DUPREEL (E) : SOCIOLOGIE GENERALE, PARIS, P.U.F., 1948.
- FARRER, C. R. (1975), INTRODUCTION, IN WOMEN AND FOLKLORE, JOURNAL OF AMERICAN FOLKLORE.
- G. LEGMAN (1968) : RATIONALE OF THE DIRTY JOKE, AN ANALYSIS OF SEXUAL HUMOR.
- GUSTAVE VON GRUNEBaum (1966) : MEDIEVAL ISLAM : A STUDY IN ORIENTAL ORIENTATION, 2° ED, CHICAGO, LONDRES.
- JERRY PALMER, TAKING HUMOUR SERIOUSLY, ROUTLEDGE, 1994.
- LAKOFF (R) (1975) : LANGUAUGE AND WOMAN'S PLACE, NEW YORK, HARPER & RPW.
- LEVINE, (J) (1976) : THE FEMININE ROUTINE, JOURNAL OF COMMUNICATION.
- PALMER, JERRY. TAKING HUMOUR SERIOUSLY. ROUTLEDGE 1994.
- RADCLIFFE-BROWN A. R. STRUCTURE AND FUNCTION IN PRIMITIVE SOCIETY. THE FREE PRESS, GLENCOE, ILLINOIS, 1961.